

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ □

□
تفسير أبي ذر الغفاري رضي الله عنه □
جمع ودراسة وتحقيق □

علي عبد الله طاهر أحمد

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:
فإن دراسة كلام الله عز وجل وفهمه والعمل به من أعظم ما يشتغل به المسلم، إذ فيه الخير له
أولاً، وفيه النفع والفائدة لغيره ثانياً.

ولقد برزت عناية أهل العلم بهذا الكتاب المجيد عبر القرون المختلفة، فاشتغلوا بتفسيره واستنباط
أحكامه وتعليمه للناس، حتى غدوا منارات هدى يهتدي بهم كل مرید للخير والرشاد. ولقد كان لأصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قصب السبق في هذا الباب، باعتبارهم العلماء بكتاب الله تعالى، الواقفين
على أسرارهم، المهتدين بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، فكان لا بد من أن يقوموا بقسطهم في بيان
ما علموه، وتوضيح ما فهموه، وتفصيل ما عرفوه، وشرح ما أدركوه، وتوصيل ما حفظوه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم.

وقد أردت في هذا البحث أن أقوم بدراسة الروايات الموقوفة على أحد هؤلاء الصحابة المفسرين
العالمين بكتاب الله عز وجل، ألا وهو الصحابي الجليل: أبو ذر الغفاري رضي الله عنه.

أهمية الموضوع:

لتفاسير الصحابة أهمية كبرى وقيمة عظمى وغاية نبلى لعدة أمور، منها:

1- أن الصحابة هم الذين سمعوا القرآن الكريم ابتداءً، وهم الذين تلقوا التفسير عن النبي
صلى الله عليه وسلم.

2- أنهم الذين شاهدوا أسباب النزول وعلموا في أي موضوع نزلت أي الكتاب الكريم.

3- أنهم أعلم الناس بمعاني الألفاظ القرآنية، لأنهم من أعلم الناس بلغة العرب، وأعرفهم بها. هذا ومما يزيد في أهمية تفسير الصحابة رضي الله عنهم المكانة العظيمة التي حباها الله لهم حيث اختارهم لاتباع رسوله، وحمل رسالته وتبليغ شريعته، وقد اصطفاهم لذلك، فكانوا بذلك خير سلف. أسباب اختيار الموضوع:

- 1- كانت الرغبة لدراسة "تفسير أبي ذر رضي الله عنه" كأحد هؤلاء الصحابة، لعدة أسباب، منها: كان تفسيره مفرقا في الكتب، ومن ثم كان لزاما جمعه في مصنف مستقل تحقيقا للفائدة.
- 2- في دراسة تفسيره مجال خصب لفتح باب الحوار حول شخصيته العلمية في التفسير.
- 3- تتيح الدراسة السبيل أمام الباحثين لإجراء دراسة مقارنة بين تفسيره وبين غيره من المفسرين.
- 4- تعطي هذه الدراسة الحافز لبعض الباحثين والمحققين، للنهوض بدراسات أخرى عن تفاسير الصحابة، مما يؤدي إلى الوصول لتفسير صحيح، يحتوي على كل ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة.

منهج كتابة البحث:

- كان منهج دراسة الروايات الموقوفة لأبي ذر رضي الله عنه في التفسير متمثلا على النحو التالي:
- أولاً: إثبات الآية الكريمة أو بعضها مما تتعلق به الرواية الموقوفة في أعلى الصفحة.
 - ثانياً: جمع الروايات الموقوفة المسندة لأبي ذر رضي الله عنه في التفسير من جميع كتب التفسير والحديث.
 - ثالثاً: ترتيب الروايات بحسب آيات السورة، مع ترقيم كل رواية منها، ثم تجميعها ودراستها.
 - رابعاً: عزو الآيات المستشهد بها بعد ذكرها في الهامش، وكذلك الأحاديث والآثار.
 - خامساً: توضيح معاني بعض الكلمات الغامضة.

خطة البحث:

تضمنت خطة البحث بعد المقدمة ثلاثة فصول وخاتمة، رسمها كالاتي:

- الفصل الأول: سيرة أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.
- الفصل الثاني: تفسير أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.
- الفصل الثالث: منهجه في التفسير.
- ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

اللهم اجعل هذا العمل خالصا لك وحدك، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول: سيرة أبي ذر الغفاري رضي الله عنه:

اسمه ونسبه وكنيته:

اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافا كبيرا حيث اشتهر هذا الصحابي الجليل بكنيته دون اسمه. فقليل: اسمه جندب بن جنادة، وقيل: برير بن جنادة، وقيل: برير بن جندب، وقيل: برير بن عسرة، وقيل: جندب بن عبد الله، وقيل: جندب بن السكن، والمشهور: جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن الوقعة بن حرام بن غفار، وأمه: رملة بنت الوقعة من بني غفار بن مليل، وكان أخا عمرو بن عبسة السلمي لأمه⁽¹⁾.

صحبه للنبي صلى الله عليه وسلم:

أسلم والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة في أوائل الإسلام، فكان رابع أربعة، وقيل: خامس خمسة، وهو أول من حيى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام، ولما أسلم رجع إلى بلاد قومه فأقام بها حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم، فأتاه بالمدينة بعدما ذهب بدر وأحد والخندق، وصحبه إلى أن توفاه الله. وكان يعبد الله تعالى قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم⁽²⁾.

فيمن روى عنهم:

1- ينظر: الحافظ جمال الدين يوسف المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1409هـ/1988م، ج 33، ص 294، الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز

الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1415هـ/1995م، ج 7، ص 125. الحافظ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1403هـ/1983م، ج 2، ص 27.

2- ينظر: الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 6، 1410هـ/1990م، ج 3، ص 378. الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1415هـ/1995م، ج 66، ص 174. الحافظ عز الدين علي بن محمد الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير، أسد الغابة في أسماء الصحابة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1421هـ/2001م، ج 1، ص 190.

روى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (3) ومات قبله بدهر (4).

فيمن روى عنه:

روى عنه: أنس بن مالك (5) وابن عباس (6) وزيد بن وهب الجهني (7) وخرشة بن الحر (8) وجبير بن نفير (9) والأحنف بن قيس (10) وعبد الله بن الصامت (11) وزيد بن ظبيان (12) وخلق (13).

3- هو: معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي، أبو عبد الرحمن الخليفة، صحابي أسلم قبل الفتح وكتب الوحي. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر وعمر وأخته أم حبيبة. وعنه: جرير بن عبد الله = البجلي والسائب بن يزيد الكندي وابن عباس وآخرون. مات في رجب سنة 60 هـ، وكانت خلافته تسع عشرة سنة ونصفاً. ينظر: الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1416 هـ/1996 م، ج10، ص187. وتقريب التهذيب، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط2، 1415 هـ/1995 م، ج2، ص537.

4- ينظر: الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، التاريخ الكبير، دار ابن كثير، دمشق، ط2، 1409 هـ/1989 م، ج2، ص221. المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج33، ص295. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج38، ص91.

5- هو: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصاري الخزرجي، أبو حمزة، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، خدمه عشر سنين. نزيل البصرة. مات سنة اثنتين، وقيل: ثلاث وتسعين من الهجرة، وقد جاوز المائة. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج1، ص329 وتقريب التهذيب، ج1، ص115.

6- هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفهم في القرآن فكان يسمى البحر والخبر لسعة علمه، مات سنة 68 هـ بالطائف. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج2، ص309.

7- هو: زيد بن وهب الجهني، أبو سليمان الكوفي، مخضرم ثقة جليل، لم يصب من قال في حديثه خلل، مات بعد الثمانين، وقيل سنة ست وتسعين من الهجرة. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج1، ص225.

8- هو: خرشة - بفتحات - والشين معجمة - بن الحر - بضم المهملة - الفزاري، كان يتباً في حجر عمر، قال أبو داود: له صحبة، وقال العجلي: ثقة من كبار التابعين، مات سنة أربع وسبعين من الهجرة. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج1، ص193.

9- هو: جبير بن نفير - بنون وفاء مصغرا - بن مالك بن عامر الحضرمي الحمصي، ثقة جليل، مخضرم ولأبيه صحبة، فكأنه هو ما وفد إلا في عهد عمر، مات سنة ثمانين، وقيل بعدها. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج1، ص138.

10- هو: الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي السعدي، أبو بحر، اسمه: الضحاك، وقيل: صخر، مخضرم ثقة، قيل: مات سنة سبع وستين، وقيل اثنتين وسبعين. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج1، ص96.

من فضائله:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أيكم يلقيني على الحال التي أفارقه عليها؟ فقال أبو ذر: أنا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: صدقت. ثم قال: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر، من سره أن ينظر إلى زهد عيسى بن مريم فليتنظر إلى أبي ذر"⁽¹⁴⁾. وقال أبو ذر رضي الله عنه: "إني لأقربكم مجلسا من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وذلك أني سمعته صلى الله عليه وسلم يقول: أقربكم مني مجلسا يوم القيامة من خرج من الدنيا كهية ما تركته فيها، وإنه والله ما منكم من أحد إلا وقد تشبث منها بشيء غيري"⁽¹⁵⁾.

من زهده:

عن عبد الله بن الصامت قال: كنت مع أبي ذر رضي الله عنه وقد خرج عطاؤه ومعه جارية له فجعل يقضي حوائجه، قال: ففضل معه، قال: احسبه قال سبع، فأمرها أن تشتري بها فلوسا، فقلت: يا أبا ذر!

-
- 11- هو: عبد الله بن الصامت الغفاري البصري. روى عن: عمه أبي ذر وعمر وعثمان والحكم ورافع ابني عمرو وحذيفة وابن عمر وعائشة. وعنه: حميد بن هلال وأبو العالية البراء وأبو عمران الجوني وغيرهم. قال النسائي: ثقة. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال العجلي: بصري تابعي ثقة. وفي التقريب: ثقة، مات دون المائة بعد السبعين. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 5، ص 231 وتقريب التهذيب، ج 2، ص 308.
- 12- هو: زيد بن ظبيان الكوفي. روى عن أبي ذر. وعنه ربعي بن حراش. روى له الترمذي والنسائي حديثا واحدا: ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم. ذكره ابن حبان في الثقات، وأخرج هو وابن خزيمة له في الصحيح. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 3، ص 359.
- 13- ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 379. المزي، تهذيب الكمال في أساء الرجال، ج 33، ص 297. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 38، ص 92.
- 14- ينظر: الإمام الحافظ أحمد بن محمد بن أحمد بن بلال بن أسد الشيباني البغدادي، المسند، دار الكتب، بيروت، ط 1، 1424هـ/ 2003م، مسند الكثيرين من الصحابة، عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ج 2، ص 175، حديث: 6630. الحافظ أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري، الطبقات الكبرى، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 1417هـ/ 1997م، أبو ذر واسمه جندب، ج 4، ص 228. الحافظ محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي، سنن الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1415هـ/ 1995م، كتاب المناقب، باب: مناقب أبي ذر رضي الله عنه، ج 5، ص 669، حديث: 3801، وقال: هذا حديث حسن. الحافظ محمد بن عبد الله ابن حمدويه النيسابوري الشهير بالحاكم، المستدرک، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1403هـ/ 1982م، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذكر مناقب أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، ج 3، ص 85، حديث: 5461. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 66، ص 190.
- 15- ينظر: الإمام أحمد، المسند، مسند الأنصار، حديث المشايخ عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه، ج 5، ص 165، حديث: 21496. ابن سعد، الطبقات الكبرى، أبو ذر واسمه جندب، ج 4، ص 229.

لو ادخرته حاجة بك ولضيف يأتيك، فقال: إن خليلي صلى الله عليه وسلم عهد إلي أيما ذهب أو فضة أو كي عليه فهو جمر على صاحبه يوم القيامة حتى يفرغه إفراغا في سبيل الله عز وجل⁽¹⁶⁾.
من مواعظه:

كان أبو ذر رضي الله عنه يقول: "يا أيها الناس! إني لكم ناصح، إني عليكم شفيق، صلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور، وصوموا الدنيا لحر يوم النشور، وتصدقوا مخافة يوم عسير، يا أيها الناس! إني لكم ناصح، إني عليكم شفيق"⁽¹⁷⁾. وكان يقول: "ذو الدرهمين أشد حسابا من ذي الدرهم"⁽¹⁸⁾.
ما جاء في محنته:

عن محمد بن سيرين⁽¹⁹⁾، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر: إذا بلغ النبأ سلعا فاخرج منها، ونحا بيده نحو الشام، ولا أرى أمراءك يدعونك. قال: يا رسول الله! أفلا أقاتل من يحول بيني وبين أمر؟ قال: لا، قال: فما تأمرني؟ قال: اسمع وأطع ولو لعبد حبشي. قال: فلما كان ذلك أرسل معاوية إلى عثمان⁽²⁰⁾: إن أبا ذر قد أفسد الناس بالشام، فبعث إليه عثمان فقدم عليه، ثم بعثوا أهله من بعده فوجدوا عنده كيسا أو شيئا فظنوا أنه دراهم، فقالوا: ما شاء الله! فإذا هي فلوس. فلما قدم المدينة قال له عثمان: كن عندي تغدو عليك وتروح اللقاح، قال: لا حاجة لي في دنياكم، ثم قال: ائذن لي حتى أخرج

-
- 16- ينظر: الإمام الحافظ أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، الزهد، زهد أبي ذر رضي الله تعالى عنه، دار الريان، القاهرة، ط1، 1407هـ/1987م، ج2، ص327، حديث: 801.
- 17- ينظر: الإمام أحمد، الزهد، زهد أبي ذر رضي الله تعالى عنه، ج2، ص337، حديث: 811. ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ج6، ص214.
- 18- ينظر: الإمام أحمد، الزهد، زهد أبي ذر رضي الله تعالى عنه، ج2، ص331، حديث: 805.
- 19- هو: محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر ابن أبي عمرة البصري، ثقة ثبت عابد كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى، مات سنة عشر ومائة من الهجرة. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج2، ص483.
- 20- هو: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو ليلي الأموي، أمير المؤمنين ذو النورين أحد السابقين الأولين والخلفاء الأربعة والعشرة المبشرة، استشهد في ذي الحجة بعد عيد الأضحى سنة 35هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج2، ص385.

الأثر (1):

عن طليق بن قيس ⁽²⁷⁾ قال: قال أبو ذر: "إذا صمت فتحفظ ما استطعت"، فكان طليق إذا كان يوم صومه دخل فلم يخرج إلا للصلاة ⁽²⁸⁾.

الدراسة:

لا شك في أن عبادة الله تعالى خير سبيل لتحقيق تقواه والفوز بمرضاته ودخول جنته، ولذلك أمر الله تعالى عباده بأن يعبدوه حتى يكونوا من المتقين، فقال: رُكَّ س ن ط ث ذ ه ؤ
مِ(٢٩)، ومعية الله تعالى إنما تتأتى لأولئك المتقين المحسنين في العبادة، كما قال تعالى: رِي □ □ □ □
رِ(٣٠).

وإذا كانت كلمة التقوى تعني: أن يجعل المؤمن بينه وبين النار وقاية، فإن هذه الوقاية إنما تكون بتحقيق أنواع العبادات التي أمرنا الله تعالى بها، والتي منها الصيام.

ولا يتوقف الصيام عند الامتناع عن الأكل والشرب فحسب، بل يتعداه ليشمل الامتناع عن كل فعل ذميم، وكل قول قبيح، وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل: إني صائم، إني صائم" (31).

- 26- سورة البقرة، الآية: 183.
- 27- هو: طليق بن قيس الحنفي الكوفي. روى عن أبي ذر وأبي الدرداء وابن عباس. وعنه: أخوه أبو صالح الحنفي عبد الرحمن بن قيس، وعبد الله بن الحارث الزبيدي. قال أبو زرعة والنسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 5، ص 31.
- 28- ينظر: الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن أبي شبة الكوفي، المصنف، دار الحديث، القاهرة، 1، 1429هـ/ 2008م، كتاب الصيام، باب: ما يؤمر به الصائم من قلة الكلام وتوقي الكذب، ج 2، ص 271، حديث: 8878. الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1، 1414هـ/ 1994م، الثالث والعشرون من شعب الإيمان، وهو باب في الصيام، الصائم ينزه صيامه عن اللغظ والمشاقة، وما لا يليق به، ج 3، ص 317، حديث: 3647.
- 29- سورة البقرة، الآية: 21.
- 30- سورة النحل، الآية: 128.
- 31- ينظر: الحاكم، المستدرک، کتاب الصيام، باب: فيما ينبغي للصائم أن يتركه، ج 1، ص 595، حديث: 1570، وقال: صحيح على شرط مسلم. الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب

وقد اتفق سائر الصحابة في تقرير هذا المعنى كذلك، فكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه⁽³²⁾، يقول: "إن الصيام ليس من الطعام و الشراب، ولكن من الكذب والباطل واللغو"⁽³³⁾، وجابر بن عبد الله رضي الله عنه⁽³⁴⁾، يقول: "إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمأثم، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك، ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواء"⁽³⁵⁾، وأبو هريرة رضي الله عنه⁽³⁶⁾ يقول: "الغيبة تخرق الصوم والاستغفار يرقعه، فمن استطاع منكم أن يجيء غدا بصومه مرقعا فليفعل"⁽³⁷⁾.

الأثر (2):

38- سورة البقرة، الآية: 186.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: "يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح" (39).

الدراسة:

البر: سعة الإحسان وشدة المروءة والخير الكامل الشامل، ولذلك توصف به الأفعال القوية الإحسان، فيقال: بر الوالدین وبر الحج، وقال تعالى: زُأَ ب ب ب پ پ پ پ⁽⁴⁰⁾، والمراد به هنا بر العبد ربه بحسن المعاملة في تلقي شرائعه وأوامره⁽⁴¹⁾.

ومنه: البر في الدعاء ومعناه: توجه العبد إلى ربه بنية خالصة وبنفس مطمئنة وبعمل صالح، ويقول سديد طيب نافع، إذ أن الله تعالى لا يستجيب من قلب غافل عن ذكره وشكره وحسن عبادته، وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس! إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿زُكُّواْ ذُنُوبَكُمْ هَـمْ يَرْىٰهُ هَـمْ هُمْ﴾" (٤٢)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُواْ صَبْرًا مُّجْتَمِعًا﴾" (٤٣). ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب! يا رب! ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك؟" (٤٤). وفي حديث آخر يقول صلى الله عليه وسلم: "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه" (٤٥).

- 39- ينظر: الإمام أحمد، الزهد، ج 1، ص 146. ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الدعاء، باب: الدعاء ببلانية ولا عمل، ج 6، ص 34، حديث: 29272.

40- سورة آل عمران، الآية: 92.

41- ينظر: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام، تونس، ط 1، 1413 هـ/ 1993 م، ج 2، ص 185.

42- سورة المؤمنون، الآية: 51.

43- سورة البقرة، الآية: 172.

44- ينظر: الإمام الحافظ مسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، ط 1، 1412 هـ/ 1992 م، كتاب الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، ج 3، ص 85، حديث: 2393. الإمام أحمد، المسند، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، ج 2، ص 328، حديث: 8330.

45- ينظر: الترمذي، السنن، كتاب الدعوات، باب، ج 5، ص 517، حديث: 3479، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. الحاكم، المستدرک، كتاب المناسك، باب: الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر، ج 1، ص 670، حديث: 1817.

يصبح جنباً، ولفظ الآية: لم يقصد به صحة صوم من أصبح جنباً، ولكن المعنى الذي قصد به يلزمه ذلك (50).

وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يدركه الفجر وهو جنب فيصوم ويغتسل بعد طلوع الفجر. فعن عائشة رضي الله عنها (51)، قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح وهو جنب فيغتسل ويصوم يومه" (52). وفي رواية عنها أنها قالت: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت جنباً فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة، فيقوم فيغتسل فأنظر إلى تحدر الماء من رأسه، ثم يخرج فأسمع صوته في صلاة الفجر، ثم يظل صائماً" (53). وعن نافع (54)، قال: سألت أم سلمة (55)، عن الرجل يصبح وهو جنب يريد الصوم؟ قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح جنباً من الوقاع لا من احتلام ثم يغتسل ويتم صومه" (56).

50- ينظر: الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، أضواء البيان، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1، 1408هـ/1988م، ج4، ص444.

51- هي: عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين، أفقه النساء مطلقاً، وأفضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ماتت سنة 57هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج2، ص750.

52- ينظر: الإمام أحمد، المسند، مسند باقي الأنصار، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، ج6، ص256، حديث: 26235.

53- الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجه، السنن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1409هـ/1989م، كتاب الصيام، باب: ما جاء في الرجل يصبح جنباً وهو يريد الصيام، ج1، ص543، حديث: 1703. ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الصيام، باب: في الرجل يصبح وهو جنب يغتسل ويجزيه صومه، ج2، ص329، حديث: 9566.

54- هو: نافع الفقيه، مولى ابن عمر، أبو عبد الله المدني. أصابه ابن عمر في بعض مغازيه. روى عن: موله، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وعائشة، وأم سلمة، وجماعة. وعنه: يونس بن عبيد، ويزيد بن أبي حبيب، وأبو إسحاق السبيعي، والزهرري، والأوزاعي، وغيرهم. قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، وقال البخاري: أصبح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر، وقال العجلي: مدني ثقة، وقال ابن خراش: ثقة نبيل، وقال النسائي: ثقة. مات سنة 117هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج10، ص368.

55- هي: هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية، أم سلمة، أم المؤمنين، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد أبي سلمة سنة أربع، وقيل: ثلاث، وعاشت بعد ذلك ستين سنة، ماتت سنة اثنتين وستين من الهجرة. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج2، ص754.

56- ابن ماجه، السنن، كتاب الصيام، ج1، ص544، حديث: 1704.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي⁽⁵⁷⁾: "وذلك جائر إجماعاً، وقد كان وقع فيه بين الصحابة كلام ثم استقر الأمر على أن من أصبح جنباً فإن صومه صحيح"⁽⁵⁸⁾.
وقد عقب عليه القرطبي⁽⁵⁹⁾ في تفسيره بقوله: "أما ما ذكر من وقوع الكلام فصحيح مشهور، وذلك قول أبي هريرة رضي الله عنه: من أصبح جنباً فلا صوم له"⁽⁶⁰⁾.
وروى ابن أبي شيبة⁽⁶¹⁾ من طريق قتادة⁽⁶²⁾، عن سعيد بن المسيب⁽⁶³⁾: أن أبا هريرة رجع عن فتياه: من أصبح جنباً فلا صوم له⁽⁶⁴⁾. ورجح ذلك الحافظ ابن حجر⁽⁶⁵⁾ في الفتح⁽⁶⁶⁾.

-
- 57- هو: الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي صاحب التصانيف. سمع من خاله الحسن بن عمر الهوزني وطائفة بالأندلس، توفي سنة 543هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 20، ص 197.
- 58- ينظر: ابن العربي، أحكام القرآن، دار ابن كثير، دمشق، ط 2، 1410هـ/1990م، ج 1، ص 178.
- 59- هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله القرطبي: من كبار المفسرين من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب في صعيد مصر، وتوفي فيها سنة 671هـ. ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ط 5، 1400هـ/1980م، ج 5، ص 322.
- 60- ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 1، 1380هـ/1960م، ج 2، ص 325.
- 61- هو: عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خواستي الإمام العلم، سيد الحفاظ، وصاحب الكتب الكبار المسند، المصنف، والتفسير، أبو بكر العبيسي مولا هم الكوفي. مات سنة 235هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 11، ص 122.
- 62- هو: قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سدوس، أبو الخطاب السدوسي البصري، ولد أكمه. روى عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وعكرمة وغيرهم. وعنه: أيوب السختياني وسليمان التيمي وجريز بن حازم، وآخرون. قال سعيد بن المسيب: ما أتاني عراقي أحسن من قتادة. وقال ابن سيرين: قتادة هو أحفظ الناس. وقال إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين: ثقة. مات سنة 117هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 8، ص 315.
- 63- هو: سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم القرشي المخزومي. روى عن: أبي بكر مرسلاً، وعن عمر، وعثمان، وعلي، وأبي هريرة، وخلق. وعنه: ابنه محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر، والزهرري، وقتال، وشريك بن أبي نمر، وجماعة. قال ابن شهاب: قال لي عبد الله بن ثعلبة بن أبي صعير: إن كنت تريد هذا يعني الفقه فعليك بهذا الشيخ سعيد بن المسيب. وقال قتادة: ما رأيت أحداً قط أعلم بالحلل والحرام

وعليه يمكن القول بأن أبا ذر رضي الله عنه وافق ما أجمع عليه الصحابة الكرام - وكذلك الأئمة الأربعة - في هذه المسألة؛ لموافقتها لمضمون الآية الكريمة، والأحاديث الواردة في ذلك، والله تعالى أعلم.

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ﴾ (67).

الأثر (4):

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: "كانت المتعة في الحج لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصة" (68).

الأثر (5):

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: "لا تصلح المتعتان إلا لنا خاصة"، يعني متعة النساء ومتعة الحج (69).

الأثر (6):

عن سليم بن الأسود (70)، أن أبا ذر كان يقول فيمن حج ثم فسخها بعمره: "لم يكن ذلك إلا للركب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم" (71).

-
- منه. وقال سليمان بن موسى: كان أئمة التابعين. وقال أبو زرعة: مدني قرشي ثقة إمام. مات سنة 94هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 4، ص 74. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج 5، ص 322.
- 64- ينظر: ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الصيام، باب: في الرجل يصبح وهو جنب يغتسل ويجزيه صومه، ج 2، ص 330، حديث: 9581.
- 65- هو: الحافظ أحمد بن علي بن محمد الكتاني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان بفلسطين ومولده ووفاته بالقاهرة. له تصانيف كثيرة في الحديث. مات سنة 852هـ. ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج 1، ص 178.
- 66- ينظر: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار الرسالة، لبنان، بيروت، ط 2، 1415هـ/ 1995م، كتاب الصوم، باب: الصائم يصبح جنباً، ج 6، ص 175، حديث: 1791.
- 67- سورة البقرة، الآية: 196.
- 68- ينظر: الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الحج، باب: جواز التمتع، ج 4، ص 46، حديث: 3024. ابن ماجه، السنن، كتاب المناسك، باب: من قال: كان فسخ الحج لهم خاصة، ج 2، ص 994، حديث: 2985.
- 69- ينظر: الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الحج، باب: جواز التمتع، ج 4، ص 46، حديث: 3026.
- 70- هو: سليم بن الأسود بن حنظلة، أبو الشعثاء المحاري الكوفي، والد أشعث بن أبي الشعثاء، روى عن: الأسود بن يزيد، وحذيفة بن اليمان، وأبي ذر الغفاري، وغيرهم. روى عنه إبراهيم بن مهاجر، وإبراهيم بن يزيد النخعي،

الدراسة:

معنى التمتع: التلذذ، يقال: تمتع بالشيء؛ أي: تلذذ به، والمتاع: كل شيء يتمتع به، وأصله من قولهم: حبل مائع؛ أي: طويل، وكل من طالت صحبته مع الشيء فهو متمتع به، والمتمتع بالعمرة إلى الحج هو أن يقدم مكة فيعتمر في أشهر الحج، ثم يقيم بمكة حالاً لا ينشئ منها الحج، فيحج من عامه ذلك، وإنما سمي متمتعاً لأنه يكون مستمتعاً بمحظورات الإحرام فيما بين تحلله من العمرة إلى إحرامه بالحج⁽⁷²⁾.

وليس مراد أبي ذر بإبطال التمتع مطلقاً، بل مراده فسخ الحج إلى العمرة في أشهر الحج، وحكمته: إبطال ما كانت عليه الجاهلية من منع العمرة في أشهر الحج، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فأمر صحابته بأن يجعلوا إحرامهم عمرة متمتعين بها إلى الحج، فكان الفسخ إبطالا لذلك، وقد اختلف العلماء في هذا الفسخ هل هو خاص للصحابة في تلك السنة خاصة أم باق لهم ولغيرهم إلى يوم القيامة، على قولين⁽⁷³⁾:

أما القول الأول: فهو ما ذهب إليه أبو ذر رضي الله عنه - كما في الأثرين المتقدمين عنه - من أن الفسخ خاص للصحابة في تلك السنة خاصة، ليخالفوا ما كانت عليه الجاهلية من تحريم العمرة في أشهر

وابنه أشعث بن أبي الشعثاء، وغيرهم. قال أحمد بن حنبل: بخ ثقة، وقال ابن معين: ثقة، وقال العجلي، والنسائي، وابن خراش: ثقة. قال الواقدي: شهد مع علي رضي الله عنه كل شيء، هلك في ولاية عبد الملك أو الوليد. مات سنة 82 هـ. ينظر: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد الحنفي، بدر الدين العيني، مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، تحقيق: أبو عبد الله محمد حسن الشافعي الشيخ القاهري المصري، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ط1، 1406 هـ/ 1986 م، ج1، ص457.

71- ينظر: الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني المعروف بأبي داود، السنن، تعليق: عزت عبيد الدعاء، دار ابن حزم، لبنان، بيروت، ط1، 1418 هـ/ 1997 م، كتاب المناسك، باب: الرجل يهل بالحج ثم يجعلها عمرة، ج2، ص96، حديث: 1809. البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الحج، باب: كراهية من كره القرآن والتمتع، والبيان أن جميع ذلك جائز وإن كنا اخترنا الأفراد، ج5، ص22، حديث: 9145.

72- ينظر: الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، والمعروف بـ: التفسير الكبير، مكتب التراث الإسلامي، دار المعرفة، لبنان، بيروت، ط1، 1409 هـ/ 1989 م، ج1، ص814.

73- ينظر: الحافظ أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن النووي الشافعي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط2، 1407 هـ/ 1987 م، كتاب الحج، باب: بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز أفراد الحج والتمتع والقرآن وجواز إدخال الحج على العمرة ومتى يحل القارن من نسكه، ج8، ص166-170. الشنقيطي، أضواء البيان، ج4، ص356-360.

الحج، وهو قول مالك⁽⁷⁴⁾ والشافعي⁽⁷⁵⁾ وأبي حنيفة⁽⁷⁶⁾، وعليه جماهير العلماء من السلف والخلف، واستدلوا عليه بما يلي:

- 1- أن الصحابة رضي الله عنهم هم المخاطبون بهذه الآية الكريمة، فلو كان غيرهم مخاطبًا بها لأمر الله المؤمنين جميعًا بأن يتمتعوا بالعمرة إلى الحج، غير أن سياق الآية لم يأت على سبيل الأمر للمؤمنين، وإنما جاء مخاطبا الصحابة به، وعليه يتبين أنهم هم المخاطبون بذلك دون غيرهم.
- 2- جاء في الحديث عن الحارث بن بلال بن الحارث⁽⁷⁷⁾، عن أبيه⁽⁷⁸⁾، قال: قلت: يا رسول الله! فسخ الحج لنا خاصة أم للناس عامة؟ قال: بل لنا خاصة⁽⁷⁹⁾. وفي رواية: قلت: يا رسول الله! فسخ الحج لنا خاصة أو لمن بعدنا؟ قال: "بل لكم خاصة"⁽⁸⁰⁾. فدل على أن المراد به الصحابة دون غيرهم.

74- هو: الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي، أبو عبد الله المدني الفقيه. رأس المتقنين وكبير المثبتين حتى قال البخاري: أصبح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر. مات سنة 179 هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج 2، ص 516.

75- هو: الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب المطلبي، أبو عبد الله الشافعي المكي. نزيل مصر، وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين. مات سنة 204 هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج 2، ص 467.

76- هو: الإمام النعمان بن ثابت الكوفي، أبو حنيفة الإمام. يقال: أصلهم من فارس، ويقال: مولى بني تيم. فقيه مشهور. مات سنة 150 هـ على الصحيح. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج 2، ص 563.

77- هو: الحارث بن بلال بن الحارث المزني المدني، روى عن: أبيه، وله صحبة. روى عنه: ربيعة بن أبي عبد الرحمن. روى له أبو داود والنسائي، وابن ماجه حديثا واحدا في فسخ الحج. قال الإمام أحمد: ليس إسناده بالمعروف. قال يحيى والنسائي: ضعيف. وقال ابن عدي: لا أعرف له حديثا مسندا. ينظر: بدر الدين العيني، مغايي الأخبار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، ج 1، ص 157. المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج 5، ص 215. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 2، ص 119.

78- هو: بلال بن الحارث بن عصم بن سعيد بن قرة المزني مدني وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد مزينة سنة خمس من الهجرة وسكن موضعا يعرف بالأشعر وراء المدينة. يكنى أبا عبد الرحمن، وكان أحد من يحمل ألوية مزينة يوم الفتح. توفي سنة ستين في آخر خلافة معاوية رحمه الله، وهو ابن ثمانين سنة. روى عنه ابنه الحارث بن بلال. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج 1، ص 55.

79- ينظر: الإمام أحمد، المسند، مسند المكين، حديث بلال بن الحارث المزني رضي الله تعالى عنه، ج 3، ص 469، حديث: 15891. الحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني، المعجم الكبير، مكتب التراث الإسلامي، دار المعرفة، لبنان، بيروت، 1405 هـ/1985 م، باب الباء: بلال بن الحارث المزني، ج 1، ص 489، حديث: 1128.

80- ينظر: أبو داود، السنن، كتاب المناسك، باب: الرجل يهل بالحج ثم يجعلها عمرة، ج 2، ص 96، حديث: 1810.

3- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض ويجعلون المحرم صفر، ويقولون: إذا برأ الدبر وعفا الأثر وانسلخ صفر، حلت العمرة لمن اعتمر. فقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة مهلين بالحج فأمرهم أن يجعلوها عمرة فتعاضم ذلك عندهم، فقالوا: يا رسول الله! أي الحل؟ قال: "الحل كله"⁽⁸¹⁾. فأمرهم أن يجعلوها عمرة ظاهر كل الظهور في أن السبب الحامل له صلى الله عليه وسلم على أمرهم: أن يجعلوا حجهم عمرة، هو أن يزيل من نفوسهم بذلك اعتقادهم أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض، وهذا خاص بالصحابة دون غيرهم. وأما القول الثاني: فهو ما ذهب إليه الإمام أحمد⁽⁸²⁾ وطائفة من أهل الظاهر من أن الفسخ ليس خاصا بل هو باق إلى يوم القيامة، فيجوز لكل من أحرم بحج، وليس معه هدي، أن يقلب إحرامه عمرة ويتحلل بأعمالها. وقد ردوا على أدلة أصحاب القول الأول بما يلي:

- 1- أن الصحابة وإن كانوا هم المخاطبون بهذه الآية إلا أنه لا يمنع من دخول غيرهم في الخطاب، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والدليل على عموم اللفظ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فلم يميز الله فيه الصحابة دون غيرهم، بل جعلها عامة لكل متمتع بالعمرة إلى الحج، فتعين العموم.
- 2- أن حديث الحارث بن بلال بن الحارث عن أبيه ضعيف لا يصح، فلا يحتج به.
- 3- أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد في حديث ابن عباس المتقدم أن يرفع الحرج عن الأمة، فجعل العمرة في أشهر الحج توسعة ورحمة بالأمة، فليس فيه ما يدل على خصوصية الصحابة بذلك. ويؤكد هذا المعنى ما جاء في الحديث الصحيح أن سراقه بن مالك بن جعشم⁽⁸³⁾ سأل النبي صلى الله عليه وسلم،

81- ينظر: الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح، دار ابن كثير، دمشق، ط3، 1407هـ/1987م، كتاب المناقب، باب: أيام الجاهلية، ج4، ص70، حديث: 1564. الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الحج، باب: جواز العمرة في أشهر الحج، ج4، ص56، حديث: 3068.

82- هو: الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أبو عبد الله المروزي ثم البغدادي. روى عن: بشر بن المفضل وإسماعيل بن عليّة وسفيان بن عيينة وغيرهم. روى عنه: البخاري ومسلم وأبو داود والباقون. قال ابن معين: ما رأيت خيرا من أحمد ما افتخر علينا بالعربية قط. وقال العجلي: ثقة ثبت في الحديث نزه النفس فقيه في الحديث متبع الآثار صاحب سنة وخير. وفي التقريب: أحد الأئمة ثقة حافظ فقيه حجة. توفي سنة 241هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج1، ص62 وتقريب التهذيب، ج1، ص84.

83- هو: سراقه بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن مالك بن تميم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة، يكنى أبا سفيان. من مشاهير الصحابة، وهو الذي لحق النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر حين خرجا مهاجرين إلى المدينة وقصته مشهورة. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم. وعنه: جابر بن عبد الله، وابن عباس، وعبد الله بن

وللجمع بين القولين أقول: إن خصوصية الصحابة بهذا التمتع إنما هي على سبيل التحتم والوجوب؛ لأمره صلى الله عليه وسلم لهم بذلك، ولا ينافي ذلك بقاء جوازه ومشروعيته إلى أبد الأبد. وقوله في حديث جابر رضي الله عنه: بل للأبد، محمول على الجواز، وبقاء المشروعية إلى الأبد. فاتفق القولان. وهو ما اختاره العلامة الشيخ تقي الدين أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى⁽⁸⁶⁾، وهو: الجمع المذكور بين الأحاديث بحمل الخصوصية المذكورة على الوجوب والتحتم، وحمل التأبيد المذكور على المشروعية والجواز أو السنة⁽⁸⁷⁾. والله تعالى أعلم.

الأثر (7):

عمر وبن العاص، وغيرهم. توفي سنة 24هـ. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج 1، ص 73.

ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 3، ص 396.

84- ينظر: الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الحج، باب: بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران وجواز إدخال الحج على العمرة ومتى يحل القارن من نسكه، ج 4، ص 36، حديث: 3002. أبو داود، السنن، كتاب المناسك، باب: في إفراد الحج، ج 2، ص 89، حديث: 1789.

85- ينظر: الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الحج، باب: حجة النبي صلى الله عليه وسلم، ج 4، ص 39، حديث: 3009. البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الحج، باب: ما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم أحرم إحراما مطلقا ينتظر القضاء ثم أمر بإفراد الحج ومضى في الحج، ج 5، ص 6، حديث: 9087.

86- هو: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني، سمع من ابن عبد الدائم، وابن أبي اليسر، وعدة. وبرع في التفسير، والحديث، والاختلاف، والأصولين، وكان يتوقد ذكاء، ومصفاته أكثر من ماتني مجلد. وكان رأسا في الكرم والشجاعة، قانعا باليسير. توفي سنة 729هـ. ينظر: الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج 1، ص 290.

87- ينظر: الإمام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، ترتيب: عبد الرحمن النجدي، المكتب الإسلامي، لبنان، بيروت، ط 2، 1409هـ/ 1989م، ج 26، ص 96.

88- سورة البقرة، الآية: 197.

الدراسة:

ينحبر الله تعالى في هذه الآية عن مشروعية الحج، وأن من أراد أداء فريضة الحج في أشهر الحج فعليه ألا يرفث ولا يفسق ولا يجادل وعليه أن يفعل الخير وأن يتزود بالتقوى، فإنها خير زاد للمسلم.

ومعنى الرفث: الفحش من القول، وبأمر الجماع خاصة. ومعنى الفسوق: الخروج عن الطاعة إلى المعصية والمراد به هنا عموم جميع المعاصي. ومعنى الجدال: شدة الخصومة الموقعة للعداوة⁽⁹¹⁾.

والمقصود من الحج، الذل والانكسار لله، والتقرب إليه بما أمكن من القربات، والتتزه عن مقارفة السيئات، وهذه الأشياء وإن كانت ممنوعة في كل مكان وزمان، فإنها يتغلظ المنع عنها في الحج⁽⁹²⁾.

وقد نهى الله عنها؛ ليرجع المؤمن إلى أهله سليماً خالياً من الذنوب والمعاصي والآثام وكأنه قد ولد من جديد، وفي هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه"⁽⁹³⁾. وفي رواية: "من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه"⁽⁹⁴⁾.

ومن هنا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بأن يتابعوا بين الحج والعمرة، فقال: "تابعوا بين الحج والعمرة، فإنها ينفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد"⁽⁹⁵⁾. وفي رواية: "تابعوا بين

-
- 89- هو: حبيب بن أبي ثابت قيس بن دينار الأسدي مولاهم، أبو يحيى الكوفي. روى عن: ابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك وغيرهم. روى عنه الأعمش والثوري وشعبة وغيرهم. قال العجلي: كوفي تابعي ثقة. وقال ابن معين والنسائي ثقة. وقال الترمذي عن البخاري: لم يسمع من عروة بن الزبير شيئاً. وقال ابن حبان في الثقات: كان مدلساً. وقال العقيلي: غمزه ابن عون. وفي التقريب: ثقة فقيه جليل، وكان كثير الإرسال والتدليس. توفي سنة 119هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 2، ص 156. وتقريب التهذيب، ج 1، ص 150.
- 90- ينظر: ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الحج، باب: ما قالوا في ثواب الحج، ج 3، ص 121، حديث: 12645.
- 91- ينظر: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الريان، قطر، الدوحة، ط 1، 1398هـ/ 1977م، ج 1، ص 258-259. محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ط 1، 1405هـ/ 1984م، مادة: "رفث"، و"فسق"، و"جدل".
- 92- ينظر: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مكتبة التوبة، الرياض، ط 1، 1413هـ/ 1993م، ج 1، ص 91، بتصرف.
- 93- الإمام البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الحج، باب: فضل الحج المبرور، ج 4، ص 2، حديث: 1521.
- 94- الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الحج، باب: في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، ج 4، ص 107، حديث: 3357.
- 95- ينظر: الحافظ أحمد بن شعيب النسائي، السنن، مكتب التراث الإسلامي، دار المعرفة، لبنان، بيروت، ط 1، 1411هـ/ 1991م، كتاب الحج، باب: فضل العمرة، ج 2، ص 322، حديث: 3609. الطبراني، المعجم الكبير، باب: العين، عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنها ذكر سنه ووفاته، ج 9، ص 316، حديث: 11033.

وأبو ذر رضي الله عنه يبين - كما في الأثر المنقول عنه - أنه لا بأس بالبيع والشراء للمحرم طالما أنه لم يقع في أي محذور من محظورات الإحرام، وهو في هذا يوافق الكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة.

- قوله تعالى: زُتْ تَؤْتِ ثَثُثُ تُثُّ تُثُّ تُثُّ تُثُّ تُثُّ قُفَّ قُفَّ قُفَّ قُفَّ جَجَّ جَجَّ جَجَّ جَجَّ جَجَّ جَزْ (١٠٩).

عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: "من أشرط الساعة أن تتخذ المذابح في المساجد" (110).

قوله تعالى: رُتِّ ثُ ثُ ثُرْ، أي: في المسجد، وذلك أن زكريا كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان، فيفتح باب المذبح فلا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول، فبينما هو قائم يصلي في المحراب، يعني في المسجد عند المذبح يصلي، والناس ينتظرون أن يأذن لهم في الدخول فإذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففرغ منه فناداه، وهو جبريل عليه السلام: يا زكريا! إن الله يمشرك بك بحى (111).

وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته من اتخاذ المحراب في المسجد؛ لئلا يكون مستقبلاً مذبحاً كمذابيح النصارى، فيكون حينئذ التشبه المذموم بهم، وهو ما يخالف اعتقاد أهل السنة والجماعة.

يعني المحارب⁽¹¹⁴⁾. وعن موسى الجهني⁽¹¹⁵⁾ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزال هذه الأمة، أو قال: أمتي بخير ما لم يتخذوا في مساجدهم مذابح كمدابح النصارى"⁽¹¹⁶⁾.

109- سورة آل عمران، الآية: 39.

111- ينظر: البغوي، معالم التنزيل، ج 2، ص 33-34.

ج 2، ص 328. محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مادة: (حرب)، و (ذبح).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية، أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون: "إن من أشرط الساعة أن تتخذ المذابح في المسجد" (117). وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: "اتقوا هذه المحاريب" (118).

وأبو ذر رضي الله عنه هنا يوافق ما توافق عليه الصحابة المهتدون بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، فالمحارب وإن كان موجودا في شرع من قبلنا إلا أنه منهي عنه في شريعة الإسلام، فلا ينبغي للمسلمين أن يتخذوا المحاريب في المساجد، لكي لا يتشبهوا بالنصارى، فيضلوا عن سواء السبيل، والله المستعان.

- قوله تعالى: زُفْ فْ فْ فْ فْ فْ فْ فْ فْ (119).

الأثر (10):

عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: "إنما أحلت لنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متعة النساء ثلاثة أيام ثم نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم" (120).

الدراسة:

قوله تعالى: زُفْ فْ فْ فْ فْ فْ فْ فْ فْ أي: كما تستمتعون بهن فآتوهن مهورهن في مقابلة ذلك، كما قال تعالى: زُفْ فْ فْ فْ فْ فْ فْ فْ فْ، وكقوله تعالى: زُفْ فْ فْ فْ فْ فْ فْ فْ فْ، وكقوله: زُفْ فْ فْ فْ فْ فْ فْ فْ فْ.

-
- 113- عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهم السهمي، أبو محمد وقيل: أبو عبد الرحمن أحد السابقين الكثيرين من الصحابة وأحد العبادة الفقهاء. مات سنة 63 هـ على الأصح. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج 2، ص 315.
- 114- ينظر: البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الحيض، باب: في كيفية بناء المساجد، ج 2، ص 439، حديث: 4476.
- 115- هو: موسى بن عبد الله ويقال: بن عبد الرحمن الجهني، أبو سلمة ويقال: أبو عبد الله الكوفي. روى عن: زيد بن وهب وأبي بردة بن أبي موسى ومصعب بن سعد وغيرهم. وعنه: شعبة والثوري والحسن بن صالح وغيرهم. قال العجلي: ثقة في عداد الشيوخ. وقال أبو زرعة: صالح. وقال أبو حاتم: لا بأس به. وذكره ابن حبان في الثقات. وفي التقريب: ثقة عابد لم يصح أن القطان طعن فيه. توفي سنة 144 هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 10، ص 316. وتقريب التهذيب، ج 2، ص 552.
- 116- ينظر: ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الصلاة، باب: الصلاة في الطاق، ج 1، ص 408، حديث: 4699.
- 117- ينظر: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي، اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، الرسالة، جدة، ط 1، 1423 هـ/ 2002 م، ج 6، ص 29.
- 118- ينظر: ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الصلاة، باب: الصلاة في الطاق، ج 1، ص 408، حديث: 4700.
- 119- سورة النساء، الآية: 24.
- 120- ينظر: البيهقي، السنن الكبرى، كتاب النكاح، باب: نكاح المتعة، ج 7، ص 207، حديث: 14560.

النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر أكثر أهل العلم على تحريم المتعة، وهو قول الثوري⁽¹²⁹⁾ وابن المبارك⁽¹³⁰⁾ والشافعي، وأحمد وإسحاق⁽¹³¹⁾⁽¹³²⁾. والله أعلم.

- قوله تعالى: زَا بَب يَدِي پ پ ی دِ نَشْرٌ(۱۳۳).

الأثر (۱۱):

عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: "من شرب مسكرا من الشراب فهو رجس، ورجس صلاته أربعين ليلة، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لها في الثالثة أو الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخصال" (134).

الدراسة:

قوله: رَأَى بَ بْ بِرَّ خُطَابَ لَجْمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، رُبُّ بَ بْ بِرَّ الْخَمْرِ: كل ما خامر العقل وغواه فأصبح شاربه لا يميز ولا يعقل. والميسر: القمار، وسمي ميسراً؛ لأن صاحبه ينال المال ببسر وسهولة. والأنصاب: الأصنام؛ لأنها تنصب فتعبد. والأزلام: جمع زلم: وهي عيدان يستقسمون بها في الجاهلية لمعرفة الخير من الشر والربح من الخسارة. رُبِّزَ أَي: نجس أو خبيث مستقذر. ثم بين تعالى أن هذه الأمور النجسة إنما هي رِبٍ بٍ بِرٍّ؛ لأنه يحمل عليه فكأنه عمله. رِبْنَنْزَرٌ أَي: تركوه جانباً فلا تقبلوا عليه بقلوبكم وأبدانكم لعلكم تسعدون في دنياكم وآخرتكم⁽¹³⁵⁾.

129- هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي. ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة. مات سنة 161 هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج 1، ص 244.

130- هو: عبد الله بن المبارك المروزي، مولى بني حنظلة. ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد. مات سنة 181هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، *تقريب التهذيب*، ج 2، ص 320.

131- هو: إسحاق ابن إبراهيم ابن مخلد الحنظلي، أبو محمد ابن راهويه المروزي. ثقة حافظ مجتهد قرين أحمد ابن حنبل، ذكر أبو داود أنه تغير قبل موته ببسیر. مات سنة 238 هـ. ينظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، ج 1، ص 99.

132- ينظر: الترمذی، السنن: کتاب النکاح، باب: ما جاء في تحريم نکاح المتعة، ج 3، ص 429، حديث: 1121.

133- سورة المائدة، الآية: 90.

134- ينظر: الحافظ أبو بكر عبد الرزاق بن همام الحميري مولاها المصنعي، المصنف، دار المعرفة، لبنان، بيروت، ط1، 1420هـ/ 1999م، كتاب الأشربة، باب: ما يقال في الشراب، ج9، ص238، حديث: 17066.

135- ينظر: أبو بكر جابر الجزائري، *أيسر التفاسير*، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، القاهرة، ط1، 1412هـ/ 1992م، ج1، ص200.

ويتطرق أبو ذر رضي الله عنه في الأثر المنقول عنه إلى واحدة من تلك النجاسات المذكورة في الآية، ألا وهي الخمر، فيبين جزاء من يشربها وهو في هذا ينقل ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين ليلة، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد كان مثل ذلك فما أدري أفي الثالثة أم في الرابعة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإن عاد كان حتماً على الله عز وجل أن يسقيه من طينة الخبال. قالوا: يا رسول الله! وما طينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار" (136).

كما فهم رضي الله عنه من خلال سماعه للحديث معنى الرجس الوارد في الآية والمتعلق بشارب الخمر، فيبين أن رجسه: ألا تقبل صلاته أربعين يوماً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لها في الثالثة أو الرابعة كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال، وهي عصارة أهل النار كما جاء في الحديث. وأقول: إن الرجس في اللغة معناه: القذر (137) وعليه يمكن القول بأن للخمر نوعين من القذارة: حسية، ومعنوية، فأما الحسية فتتمثل في لونها ورائحتها وطعمها وما تتركه من أثر على شاربها في ضياع عقله، وأما المعنوية فتتمثل في إضاعة الصلاة، وبالتالي ضياع الدين، وعليه تكون الخسارة يوم القيامة.

- قوله تعالى: ﴿...﴾ (138).

الأثر (12):

عن أبي ذر رضي الله عنه، ﴿...﴾ (139).

136- ينظر: الإمام أحمد، المسند، مسند الأنصار، حديث أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه، ج 35، ص 396، حديث: 21502. نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي الحنفي، التيسير في التفسير، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط 3، 1412هـ/1992م، ج 1، ص 300. عبد الله بن عمر البضاوي الشافعي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، لبنان، بيروت، ط 2، 1419هـ/1998م، ج 2، ص 362. أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، 1416هـ/1996م، ج 3، ص 75. محمود بن عمر الزمخشري، الكشف عن حقائق التنزيل، دار ابن كثير، دمشق، ط 1، 1410هـ/1989م، ج 1، ص 707-708. الشيخ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير، دار المعرفة، لبنان، بيروت، ط 1، 1415هـ/1995م، ج 2، ص 107. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج 1، ص 200.

137- ينظر: محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مادة: (رجس).

138- سورة المائدة، الآية: 95.

الأثر (13):

عن أبي ذر رضي الله عنه، ژ □ □ □ □ ژ قال: "في الإسلام" (140).

الدراسة:

لأهل العلم في تأويل هذه الآية الكريمة قولان (141):

أما القول الأول فذهب إلى أن المعنى: ژ □ □ □ □ ژ أي: عما كان في الجاهلية من قتل الصيد أثناء التلبس بالإحرام، ژ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ؛ أي: في الإسلام بعد معرفة الحكم. وهو مذهب أبي ذر الغفاري - كما في الأثر - وعطاء بن أبي رباح (142) وسعيد بن جبیر (143) ومجاهد (144) وإبراهيم النخعي (145) وجماعة.

وأما القول الثاني فذهب إلى أن المعنى: ژ □ □ □ □ ژ أي: من قتل منكم الصيد حراماً في أول مرة. ومن عاد ثانية لقتله بعد أولى حراماً، فالله ولي الانتقام منه. وهو مذهب ابن عباس وشريح.

-
- 139 - ينظر: ابن أبي حاتم الرازي، تفسير ابن أبي حاتم، ج 5، ص 97. السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط 2، 1415 هـ / 1995 م، ج 3، ص 484.
- 140 - ينظر: ابن أبي حاتم الرازي، تفسير ابن أبي حاتم، ج 5، ص 97.
- 141 - ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 10، ص 47-56. ابن أبي حاتم الرازي، تفسير ابن أبي حاتم، ج 5، ص 97-89.
- 142 - هو: عطاء بن أبي رباح، واسم أبي رباح: أسلم القرشي مولا هم المكي. ثقة فقيه فاضل، لكنه كثير الإرسال. مات سنة 114 هـ على المشهور، وقيل إنه تغير بأخرة ولم يكثر ذلك منه. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج 1، ص 391.
- 143 - هو: سعيد بن جبیر الأسدي مولا هم الكوفي. ثقة ثبت فقيه، وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسله. قتل بين يدي الحجاج سنة 95 هـ، ولم يكمل الخمسين. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج 1، ص 234.
- 144 - هو: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المخزومي مولا هم المكي. ثقة إمام في التفسير وفي العلم. مات سنة 104 هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج 1، ص 520.
- 145 - هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبو عمران الكوفي الفقيه، ثقة إلا أنه يرسل. مات سنة 96 هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج 1، ص 95.

قال ابن الجوزي⁽¹⁴⁶⁾: "والأول أصح، فعلى القول الأول يكون معنى قوله: $\square \square$ في الإسلام، وعلى الثاني: $\square \square$ ثمانية بعد أولى"⁽¹⁴⁷⁾.

وأرى أن ما قاله ابن الجوزي هو الصحيح، إذ أن الآية الكريمة نزلت في الذي قتل الصيد أول مرة وهو محرم، فمن باب أولى أن يطبق عليه الحكم، كما أن الله عز وجل لم يخبر بأنه قد أزال الحكم عمن نزلت بشأنه، بل جاء الحكم عاما على كل مسلم، ثم الجمهور من السلف والخلف على أنه متى قتل المحرم الصيد وجب الجزاء، ولا فرق بين الأولى والثانية والثالثة، وإن تكرر ما تكرر سواء الخطأ في ذلك والعمد⁽¹⁴⁸⁾.

- قوله تعالى: $\text{يُذِيبُ ذَاتُ ذُنُورٍ} \text{ذُرِّيَّتُكَ} \text{ذُرِّيَّتُكَ} \text{ذُرِّيَّتُكَ}$ (149).

الأثر (14):

عن زيد بن وهب قال: "مررت بالربذة، فإذا أنا بأبي ذر، قال: قلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام، فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية: $\text{يُذِيبُ ذَاتُ ذُنُورٍ}$ ، فقال: نزلت في أهل الكتاب. فقلت: نزلت فينا وفيهم"⁽¹⁵⁰⁾.

الأثر (15):

عن زيد بن وهب قال: "مررت بالربذة، فلقيت أبا ذر! فقلت: يا أبا ذر، ما أنزلك هذه البلاد؟ قال: كنت بالشام، فقرأت هذه الآية: $\text{يُذِيبُ ذَاتُ ذُنُورٍ}$ ، فقال معاوية: ليست هذه الآية فينا، إنما هذه الآية في أهل الكتاب، قال: فقلت: إنها لفينا وفيهم، قال: فارتفع في ذلك بيني وبينه القول، فكتب إلى

146 - هو: الشيخ الإمام العلامة، الحافظ المفسر، شيخ الإسلام، مفخر العراق، جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي، القرشي التيمي البكري البغدادي، الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف. توفي سنة 597 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 15، ص 455.

147 - ينظر: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، الرشد، الدمام، ط 2، 1407 هـ/ 1986 م، ج 2، ص 427.

148 - ينظر: ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 125.

149 - سورة التوبة، الآية: 34.

150 - ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 14، ص 228. ابن أبي حاتم الرازي، تفسير ابن أبي حاتم، ج 7، ص 241.

عثمان يشكوني، فكتب إلي عثمان أن أقبل إلي، قال: فأقبلت، فلما قدمت المدينة ركبني الناس كأنهم لم يروني قبل يومئذ، فشكوت ذلك إلى عثمان، فقال لي: تنح قريباً. قلت: والله لن أدع ما كنت أقول" (151).
الدراسة:

اختلف أهل العلم فيمن نزلت على ثلاثة أقوال (152):
أحدها: أنها نزلت عامة في أهل الكتاب والمسلمين. قاله أبو ذر والضحاك (153)، وعليه أكثر أهل العلم. والثاني: أنها خاصة في أهل الكتاب. قاله معاوية بن أبي سفيان. والثالث: أنها في المسلمين. قاله ابن عباس والسدي (154).
قال القرطبي: "وقال أبو ذر وغيره: المراد بها أهل الكتاب وغيرهم من المسلمين. وهو الصحيح؛ لأنه لو أراد أهل الكتاب خاصة لقال: "ويكنزون"، بغير ژيژ. فلما قال: ژيژ فقد استأنف معنى آخر يبين أنه عطف جملة على جملة. ف: "الذين يكنزون" كلام مستأنف، وهو رفع على الابتداء" (155).
وهو ما رجحه الشوكاني (156) بقوله: "والأولى حمل الآية على عموم اللفظ، فهو أوسع من ذلك" (157).

-
- 151- ينظر: الإمام البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب: ما أدي زكاته فليس بكنز لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ليس فيما دون خمسة أواق صدقة، ج 3، ص 414، حديث: 1406. ابن سعد، الطبقات الكبرى، أبو ذر واسمه جندب، ج 4، ص 226. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 14، ص 227. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 66، ص 198.
- 152- ينظر: ابن الجوزي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، ج 3، ص 428-429. فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب والمعروف بـ: التفسير الكبير، ج 2، ص 207. أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تفسير السمعاني، طبعة دار الوطن، الرياض، ط 1، 1417هـ/ 1997م، ج 1، ص 450.
- 153- هو: الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني. صدوق كثير الإرسال. مات سنة 106هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج 1، ص 280.
- 154- هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، أبو محمد القرشي مولا هم الكوفي الأعور، وهو السدي الكبير. كان يقعد في سدة باب الجامع فسمى السدي. روى عن: أنس وابن عباس عطاء وعكرمة وغيرهم. وعنه: شعبة والثوري والحسن بن صالح وزائدة وغيرهم. قال أبو طالب عن أحمد: ثقة. وقال أبو زرعة: لين. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال النسائي في الكنى: صالح. وقال في موضع آخر: ليس به بأس. مات سنة 127هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 1، ص 313.
- 155- ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 8، ص 123.

الأثر (16):

فإن قيل: لم خص الجباه والجنوب والظهر من بقية البدن؟ فالجواب: أن هذه المواضع مجوفة فيصل الحر إلى أجوافها بخلاف اليد والرجل، ومن هنا قال أبو ذر رضي الله عنه: "بشر الكنازين بكبي في الجباه، وكبي في الجنوب، وكبي في الظهر، حتى يلتقي الحر في أجوافهم". أو لأن غرض الكانزين من الكنز والجمع أن يكونوا عند الناس ذوي وجهة ورياسة بسبب الغنى، وأن يتمتعوا بالمطاعم الشهية والملابس البهية، فلو جاهدتهم كان الكي بجباههم، ولا متلاء جنوبهم بالطعام كوو عليها، ولما لسوه على ظهورهم

161- ينظر: الشيخ عبد الرحمن السعدي، تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج 1، ص 335، بتصرف.

كویت، أو لأنهم إذا رأوا الفقير السائل زووا ما بين أعينهم وازوروا عنه، وأعرضوا وطووا كشحا، وولوه ظهورهم واستقبلوا جهة أخرى، أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة، فإنها المشتملة على الأعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد. وقيل: لأنها أصول الجهات الأربع التي هي مقادير البدن ومآخيره وجنبته فيكون ما ذكر كناية عن جميع البدن، ويبقى عليه نكتة الاختصار على هذه الأربع من بين الجهات الست وتكلف لها بعضهم بأن الكانز وقت الكنز لحذره من أن يطلع عليه أحد يلتفت يمينا وشمالا وأماما ووراء ولا يكاد ينظر إلى فوق أو يتخيل أن أحدا يطلع عليه من تحت، فلما كانت تلك الجهات الأربع مطمح نظره ومظنة حذره دون الجهتين الآخرين اقتصر عليها دونها. وقيل غير ذلك⁽¹⁶²⁾.

يقول الآلوسي معلقا على هذه الأقوال وغيرها: "وهي أقوال يشبه بعضها بعضا، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال، وأيا ما كان فليس المراد أنه يوضع دينار على دينار أو درهم على درهم فيكوى بها ولا أنه يكوى بكل بأن يرفع واحد ويوضع بدله آخر حتى يؤتى على آخرها، بل أنه يوسع جلد الكانز فيوضع كل دينار ودرهم على حدته، كما نطقت بذلك الآثار وتضافرت به الأخبار"⁽¹⁶³⁾.
- قوله تعالى: ژں ن ٹ ٹ ٹ ٹ⁽¹⁶⁴⁾.

الأثر (17):

عن قيس بن عباد⁽¹⁶⁵⁾، قال: سمعت أبا ذر يقسم قسما أن هذه الآية: ژں ن ٹ ٹ ٹ نزلت في الذين بارزوا يوم بدر: حمزة⁽¹⁶⁶⁾ وعلي وعبيدة بن الحارث⁽¹⁶⁷⁾ وعتبة⁽¹⁶⁸⁾، وشيبة ابني

162- ينظر: ابن الجوزي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، ج 3، ص 431. شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار ابن حزم، لبنان، بيروت، ط2، 1418هـ/1997م، ج10، ص 88. أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج 4، ص 63.

163- ينظر: الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ج 10، ص 89.

164- سورة الحج، الآية: 19.

165- هو: قيس بن عباد القيسي الضبيعي، أبو عبد الله البصري. قدم المدينة في خلافة عمر وروى عنه، وعن علي وعمار وأبي ذر وغيرهم. روى عنه: ابنه عبد الله وأبو مجلز والحسن وابن سيرين وغيرهم. قال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث. وقال العجلي: كان ثقة من كبار الصالحين. وقال النسائي وابن خراش: ثقة وكانت له مناقب وحلم وعبادة. وفي التقريب: ثقة مخضرم، مات بعد الثمانين، ووهب من عده في الصحابة. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 8، ص 400. وتقريب التهذيب، ج 1، ص 457.

166- هو: حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو عمارة عم النبي صلى الله عليه وسلم، وأخوه من الرضاعة. ولد قبل النبي صلى الله عليه وسلم بستين. وأسلم في السنة الثانية من البعثة، ولازم نصر رسول الله

ربيعة⁽¹⁶⁹⁾ والوليد بن عتبة⁽¹⁷⁰⁾، قال: وقال علي: إني لأول، أو من أول من يجثو للخصومة يوم القيامة بين يدي الله تبارك وتعالى⁽¹⁷¹⁾.
الأثر (18):

عن قيس بن عباد قال: سمعت أبا ذر يقسم بالله قسماً: لنزلت هذه الآية في ستة من قريش: حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة: $\text{ر} \text{ن} \text{ن} \text{ن} \text{ن} \text{ن} \text{ن}$... إلى آخر الآية⁽¹⁷²⁾.

الدراسة:

اختلف أهل العلم فيمن نزلت هذه الآية الكريمة على أربعة أقوال⁽¹⁷³⁾:

-
- صلى الله عليه وسلم وهاجر معه. وشهد بدرًا، وأبلى في ذلك. وقتل شيبة بن ربيعة، وشارك في قتل عتبة بن ربيعة = أو بالعكس. واستشهد بأحد. وقصة قتل وحشي له أخرجه البخاري من حديث وحشي، وكان ذلك في النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة. ينظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 2، ص 105-106.
- 167- هو: عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي. أسلم قديماً، وكان رأس بني عبد مناف حينئذ مع أن العباس وإخوته كانوا في الندد أقرب. وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، ثم هاجر، وشهد بدرًا سنة 2هـ، وتبارز فيها مع شيبة، فضرب شيبة عبيدة على ساقه فحمل حمزة وعلي على شيبة فقتلاه، واحتملا عبيدة، فمات بعد ذلك بالصفراء. ينظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 4، ص 352-353.
- 168- هو: رجل من المشركين، قتل مع غيره من المشركين في غزوة بدر الكبرى سنة 2هـ. ينظر: صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 2، 1420هـ/ 1999م، ص 206-207.
- 169- هو: رجل من المشركين، قتل مع غيره من المشركين في غزوة بدر الكبرى سنة 2هـ. ينظر: المرجع السابق.
- 170- هو: رجل من المشركين، قتل مع غيره من المشركين في غزوة بدر الكبرى سنة 2هـ. ينظر: المرجع السابق.
- 171- ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 18، ص 588. ابن أبي حاتم الرازي، تفسير ابن أبي حاتم، ج 9، ص 363.
- 172- ينظر: الإمام البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب: قتل أبي جهل، ج 9، ص 592، حديث: 3966.
- الإمام مسلم، الصحيح، كتاب التفسير، باب: في قوله تعالى: $\text{ر} \text{ن} \text{ن} \text{ن} \text{ن} \text{ن} \text{ن}$ ، ج 8، ص 245، حديث: 7747. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 18، ص 588. ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي، باب: في غزوات النبي عليه السلام كم غزا؟ ج 7، ص 357، حديث: 36683.
- 173- ينظر: أبو الحسن علي بن محمد البصري الماوردي، النكت والعيون في التفسير، دار الكتب، بيروت، ط 1، 1422هـ/ 2001م، ج 4، ص 13. ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج 5، ص 416-417.

أحدها: أنها نزلت في نفر الذين تبارزوا للقتال يوم بدر: حمزة وعلي وعبيد بن الحارث وعتبة، وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة. هذا قول أبي ذر وعلي وعطاء بن يسار⁽¹⁷⁴⁾ ومحمد بن سيرين.

والثاني: أنها نزلت في أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحق بالله، آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب، وأنتم تعرفون نبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت هذه الآية. قاله: ابن عباس وقتادة.

والثالث: أنها في جميع المؤمنين والكفار. قاله: الحسن⁽¹⁷⁵⁾ وعطاء بن أبي رباح ومجاهد والكلبي⁽¹⁷⁶⁾.

والرابع: أنها نزلت في اختصام الجنة والنار فقالت النار: خلقتني الله لعقوبته. وقالت الجنة: خلقتني الله لرحمته. قاله عكرمة⁽¹⁷⁷⁾.

-
- 174 - هو: عطاء بن يسار الهلالي، أبو محمد المدني القاص، مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم. روى عن: أبي ذر وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت وغيرهم. روى عنه: أبو سلمة بن عبد الرحمن، وهو من أقرانه، وهلال بن علي وزيد بن أسلم وغيرهم. قال ابن معين وأبو زرعة والنسائي: ثقة. وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث. مات سنة 94هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 7، ص 218.
- 175 - هو: الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد مولى الأنصار، وأمه خير مولاة أم سلمة. روى عن: عثمان وعلي وأبي موسى وأبي بكر وغيرهم. وعنه: حميد الطويل ويزيد بن أبي مريم وأيوب وقتادة وغيرهم. قال أنس بن مالك: سلوا الحسن فإنه حفظ ونسينا. وقال سليمان التيمي: الحسن شيخ أهل البصرة. مات سنة 110هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 2، ص 263.
- 176 - هو: محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن عبد الحارث بن عبد العزي الكلبي، أبو النضر الكوفي النسابة المفسر من عبدود. روى عن: أخويه سفيان وسلمة وأبي مولى أم هانئ وعامر الشعبي وغيرهم. روى عنه: ابنه هشام والسفيانان وحامد بن سلمة وابن المبارك وابن جريج وغيرهم. قال ابن عدي: له غير ما ذكرت أحاديث صالحة وخاصة عن أبي صالح، وهو معروف بالتفسير، وليس لأحد أطول من تفسيره، وحدث عنه ثقات من الناس ورضوه في التفسير، وأما في الحديث ففيه مناكير، ولشهرته فيما بين الضعفاء يكتب حديثه. مات بالكوفة سنة 146هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 9، ص 180.
- 177 - هو: عكرمة البربري، أبو عبد الله المدني، مولى ابن عباس. أصله من البربر، كان لخصين بن أبي الحر العنبري فوهبه لابن عباس لما ولي البصرة لعلي. روى عن: مولاة وعلي بن أبي طالب والحسن بن علي وأبي هريرة وابن عمر وغيرهم. روى عنه: إبراهيم النخعي ومات قبله وأبو الشعثاء جابر بن زيد والشعبي وهما من أقرانه وأبو الزبير وقتادة وغيرهم. قال إسماعيل بن أبي خالد: سمعت الشعبي يقول: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة، وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة: كان أعلم التابعين بأربعة: عطاء وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن. وقال سلام بن مسكين عن قتادة: أعلمهم بالتفسير عكرمة فاقعدوه فجعلوا يسألونه عن حديث ابن عباس. مات بالمدينة سنة 104هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 7، ص 263.

أحدها: أن معناها: لا يحل لك النساء من بعد نسائك اللاتي خيرتهن، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة. قاله: ابن عباس وقتادة⁽¹⁹⁴⁾ وابن زيد وغيرهم وعليه قول الجمهور.

والثاني: أن معناها: لا يحل لك النساء بعد التي أحللنا لك بقولنا: **زَكَرَ كُفْرًا**... إلى قوله: **زَكَاةً**، إلى قوله: **زَكَاةً**، وكأن المعنى: لا يحل لك من النساء إلا التي أحللناها لك. قاله: أبي بن كعب⁽¹⁹⁶⁾ وعكرمة والضحاك.

وهذا الرأي الثاني وإن كان أشمل من سابقه، إلا أننا نرجح أن الآية الكريمة مسوقة لتكريم أمهات المؤمنين اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة على الحياة الدنيا وزينتها⁽¹⁹⁷⁾.

والثالث: أن معناها: لا يحل لك النساء من غير المسلمات، كاليهوديات والنصرانيات والمشركات ويحل ما سواهن من المسلمات. قاله: أبو ذر - كما في الأثر - ومجاهد.

وهذا الرأي فيه بعد؛ لأنه لم يكن في الآية ذكر المسميات بالتحليل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر إباحتها للمسلمات كلهن، بل كان فيها ذكر أزواجه وملك يمينه الذي يفى الله عليه، وبنات عمه وبنات عماته، وبنات خاله وبنات خالاته اللاتي هاجرن معه، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، فتكون الكوافر مخصوصات بالتحريم⁽¹⁹⁸⁾، وليس في الآية ما يحتمل هذا، بل إن قوله: **زَكَرَ كُفْرًا**، جُزْءٌ عام لكل النساء دونما تخصيص، فكيف يكون هذا صحيحاً؟! وعلى التسليم بصحته، فإن المعنى يكون حينئذ: لا يحل لك النساء من بعد المسلمات، ولم يجز للمسلمات ذكر، فكيف يجزم بصحته؟! -

قوله تعالى: **زَكَرَ كُفْرًا** (199).

الأثر (20):

عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: "رأه بقلبه، ولم يره بعينه" (200).

-
- 194 - هو: قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة، أبو الخطاب السدوسي البصري، ثقة، وقد تقدم.
- 195 - سورة الأحزاب، الآية: 50.
- 196 - هو: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك ابن النجار، الأنصاري الخزرجي، أبو المنذر سيد القراء، ويكنى أبا الطفيل أيضاً. مات سنة 19 هـ وقيل سنة 32 هـ، وقيل غير ذلك. ينظر: ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ج 1، ص 96.
- 197 - ينظر: محمد سيد طنطاوي، الوسيط في التفسير، ج 1، ص 3441.
- 198 - ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 20، ص 300.
- 199 - سورة النجم، الآية: 11.
- 200 - ينظر: ابن أبي حاتم الرازي، تفسير ابن أبي حاتم، ج 12، ص 258.

الدراسة:

اختلف أهل العلم في الذي رآه فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج فلم يكذبه، على قولين (201):

أما القول الأول، فذهب إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقلبه ولم يره بعينه. وإلى هذا القول ذهب أبو ذر - كما في الأثر - وابن عباس وعكرمة.

وأما القول الثاني، فذهب إلى أن الذي رآه فؤاده فلم يكذبه جبريل عليه السلام. وإلى هذا القول ذهب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعائشة وأبو هريرة وقتادة وهذا قول الجمهور.

وأقول: إن الراجح في هذا هو القول الثاني، ويشهد لصحته ما يلي:

أولاً: ما جاء في صحيح مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض" (202).

قال أبو حيان الأندلسي⁽²⁰³⁾: "وحدث عائشة قاطع لكل تأويل في اللفظ؛ لأن قول غيرها إنما هو منتزع من ألفاظ القرآن وليست نصاً في الرؤية بالبصر ولا بغيره"⁽²⁰⁴⁾.

ثانيًا: يدل ظاهر السياق على رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام، على الهيئة التي خلقه الله تعالى عليها، فقد كان جبريل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة آدمي، فسأله أن يريه نفسه على صورته التي خلق عليها، فأراه نفسه مرتين: مرة في الأرض، وهو في قوله: **رُؤِدْتُ** **رُؤِدْتُ** **رُؤِدْتُ** (205)، ومرة في السماء، وهو في قوله: **رُؤِدْتُ** **كُكُ** **كُكُ** (206)، ولهذا قال: **رُؤِدْتُ** أي: ما كذب فؤاد النبي

201- ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 22، ص 510-513. ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 301-303.

202- ينظر: الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ﴿كُفِّرُوا كُرُوهًا﴾ وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء؟، ج 1، ص 110، حديث: 457.

203- هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني، النفزي، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة. وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفي فيها سنة 745هـ بعد أن أف بصره. ينظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج 7، ص 152.

204- ينظر: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، البحر المحيط، ج 8، ص 119.

205- سورة النجم، الآية: 12.

206- سورة النجم، الآية: 13.

صلى الله عليه وسلم وما أنكر، الذي رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام؛ لأنه لم يكن يجهره، بل كان معروفا لديه وصاحب الوحي إليه⁽²⁰⁷⁾.

الفصل الثالث: منهجه في التفسير:

كان المنهج⁽²⁰⁸⁾ الذي سار عليه أبو ذر رضي الله عنه في تفسيره للقرآن الكريم متمثلاً على النحو التالي:

تفسيره للقرآن من خلال سؤاله للنبي صلى الله عليه وسلم:

مثاله: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رُقٍّ قُتِرَ قال: "اليهود"، قلت: رُجِجْتُ، قال: "النصارى"⁽²⁰⁹⁾.

تفسيره للقرآن بحسب ما يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم:

مثاله: عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الشمس إذا غربت أتت تحت العرش فسجدت، فيقال لها: اطلعي من حيث غربت"، ثم قرأ هذه الآية: رَأَى بَابُ بَابٍ بِئْرٌ⁽²¹⁰⁾ إلى آخر الآية⁽²¹¹⁾.

تفسيره للقرآن بحسب فهمه المبني على ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم:

مثاله: عن حميد بن هلال قال: "كان أبو ذر يقول: بشر الكنازين بكي في الجباه، وكى في الجنوب، وكى في الظهور، حتى يلتقي الحر في أجوافهم"⁽²¹²⁾. وذلك في تفسيره لقوله تعالى:

-
- 207- ينظر: محمد سيد طنطاوي، الوسيط في التفسير، ج 1، ص 3998، بتصرف.
- 208- المنهج لغة: الطريق الواضح البين. واصطلاحاً: الطريقة الموضوعية التي يعالج بها المفسر قضايا التفسير المختلفة، مثل: اللغة، وأسباب النزول، والقراءات، ومسائل العقيدة، والفقه، وغيرها، ويبرز من خلال تلك الطريقة رأي ذلك المفسر وموقفه حيال هذه القضايا، بحيث يمكن الخروج من خلال التفسير بخلاصة وافية لطريقة المفسر في التفسير. ينظر: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، لسان العرب، مادة: (نَجَج). علي الزبيري، ابن جزى ومنهجه في التفسير، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1412 هـ/ 1991 م، ج 1، ص 338.
- 209- ينظر: ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 142. جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج 1، ص 42.
- 210- سورة النحل، الآية: 33.
- 211- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 12، ص 256. الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار البصري، مسند البزار، دار التراث، القاهرة، ط 2، 1401 هـ/ 1981 م، ج 9، ص 408، حديث: 4011.
- 212- ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 14، ص 230.

ژید دَ دَ ڈُ ڈُ ژُ ژُ ژُ ژُ(۲۱۳). وقد قال أبو ذر رضي الله عنه هذا القول بناء على ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم، فقد سمعه يقول: "من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها"(۲۱۴).

تفسيره للقرآن بحسب علمه باللغة ومتابعته لأحوال التنزيل:

مثاله: عن أبي ذر رضي الله عنه، رُوي □ □ □ □ (215) قال: "عما كان في الجاهلية" (216). فقد علم أبو ذر من اللغة أن السلف معناه: كل أمر مضى وانقضى، كما علم من خلال متابعتة لأحوال التنزيل أن الذي مضى وانقضى في هذه الآية الكريمة هي تلك الأمور التي كانت تحدث في الجاهلية، من النكاح والصيد والمعاملات المالية ونحوها، والتي من أجلها نزلت هذه الآية لتوضيحها وبيان حكمها، فقال ما قال.

تفسيره للقرآن من خلال معرفته بأسباب النزول:

مثاله: عن قيس بن عباد، قال: سمعت أبا ذر يقسم قسماً أن هذه الآية: **ثُمَّ نُنْزِلُكَ** (217) نزلت في الذين بارزوا يوم بدر: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة، قال: وقال علي: **إني لأول، أو من أول من** يجئ للخصومة يوم القيامة بين يدي الله تبارك وتعالى (218).

اهتمامه بالموعظة والنصح والإرشاد في تفسيره:

مثاله: ما جاء في قوله تعالى: رُثِثْتُ ثُتُّتُ فُفُتُّ قُقُتُّ عَنْ طَلِيْقٍ بِنِ قَيْسٍ⁽²¹⁹⁾، قال: قال أبو ذر: "إذا صمت فتحفظ ما استطعت"، فكان طليق إذا كان يوم صومه دخل فلم يخرج إلا للصلاة⁽²²⁰⁾. فقدّم رضي الله عنه الموعظة متماشيا مع ما دلت عليه الآية الكريمة.

213- سورة التوبة، الآية: 34.

214- ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 14، ص 220.

215- سورة المائدة، الآية: 95.

216- ينظر: ابن أبي حاتم الرازي، تفسير ابن أبي حاتم، ج 5، ص 97.

217- سورة الحج، الآية: 19.

218- ينظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 18، ص 588. ابن أبي حاتم الرازي، تفسير ابن

أبي حاتم، ج 9، ص 363.

219- هو: طليق بن قيس الحنفي الكوفي. ثقة، وقد تقدم.

اهتمامه بمسائل العقيدة في تفسيره:

مثاله: ما جاء في قوله تعالى: **ثُتُّ ثُتُّ ثُتُّ ثُتُّ** (221)، عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: "من أشراط الساعة أن تتخذ المذابح - أي: المحاريب - في المساجد" (222). فتطرق رضي الله عنه في تفسيره إلى الجانب العقدي حيث بين أن من أشراط الساعة أن يجعل المحراب في المسجد، وهذا مما اتفق الصحابة الكرام على بيانه؛ لكي لا يحصل التشبه باعتقاد أهل الكتاب فعندها تعم البلوى ويضل العباد، فتهلك الأمة.

اهتمامه بالمسائل الفقهية في تفسيره:

مثاله: ما جاء في قوله تعالى: **ثَأْ بَ بَ بَ بَ بَ بَ بَ** (223)، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: "لو أصبحت جنبا من امرأتي لصمت" (224). فقد استنبط رضي الله عنه هذه المسألة بناء على فهمه لمضمون هذه الآية.

الخاتمة:

أحمد ربي وأشكره أن أعانني على إتمام هذا البحث بفضلله ومنه، بعد رحلة شاقة ممتعة، عشت خلالها أفياء ظليلة في رحاب تفسير أبي ذر رضي الله عنه. وقد ظهرت لي من خلال دراستي للبحث بعض النتائج، أجملها بما يلي:

- 1- أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتنوا بالقرآن الكريم جمعا وحفظا ودراسة، فلم يغفلوا عما يقتضي بيانه فيه، بل بينوا للأمة ما أشكل منه، فرضي الله تعالى عنهم أجمعين، وأسكنهم فسيح جناته.
- 2- اعتمد الصحابة في تفسيرهم للقرآن الكريم على ما جاء في نصوص الكتاب والسنة.

220- ينظر: ابن أبي شيبه، المصنف، كتاب الصيام، باب: ما يؤمر به الصائم من قلة الكلام وتوقي الكذب، ج 2، ص 271، حديث: 8878. البيهقي، شعب الإيمان، الثالث والعشرون من شعب الإيمان، وهو باب في: الصيام، الصائم ينزه صيامه عن اللغو والمشاقة، وما لا يليق به، ج 3، ص 317، حديث: 3647.

221- سورة آل عمران، الآية: 39.

222- تقدم تخريجه في الأثر (9).

223- سورة البقرة، الآية: 187.

224- تقدم تخريجه في الأثر (3).

- 3- كان الصحابة أصحاب علم بأسباب النزول واللغة والقراءات وسائر الوسائل التي تعينهم على تفسير كتاب الله تعالى، فكانوا بذلك أعلم العباد بما جاء عن رب العباد، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- 4- لم يكن أبو ذر رضي الله عنه بمعزل عن هؤلاء الصحابة في تفسيرهم للقرآن، بل انتهج نهجهم في التفسير، وما هذا إلا لتخرجهم جميعاً من مدرسة واحدة وهي مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم.
- 5- إن اجتهد أبي ذر في التفسير كان وفق ما سمع وفهم لا وفق عقل مجرد من السمع، فلم يكن تفسيره عقلياً بحتاً، بل كان جل تفسيره الاجتهادي نابعا مما سمعه وعقله وفهمه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- 6- لم يكن اختلاف أبي ذر في التفسير مع غيره من الصحابة اختلافاً جوهرياً، بل كان اختلافاً لفظياً شكلياً، الأمر الذي من شأنه أن يسهل التوفيق بين اجتهاده في التفسير واجتهادهم فيه.
- 7- اهتم أبو ذر رضي الله عنه في تفسيره بالجانب العقدي، فتراه يفسر الآيات الدالة على أصول العقيدة الإسلامية بما تلقاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- 8- كما اهتم أيضاً بالجانب الفقهي، فتراه يفسر آيات الأحكام الفقهية على ضوء ما فهمه من الكتاب والسنة، وقد يتفق مع غيره من الصحابة وقد يخالفهم، بحسب رأي كل منهم في المسألة.
- 9- امتاز تفسير أبي ذر رضي الله عنه بإدخال الموعظة في بعض الآيات منها، بحيث تفسر الآيات بأسلوب وعظي يتعظ به من حوله من الصحابة والتابعين.
- 10- لوحظ أن الروايات الإسرائيلية لم ترو عن أبي ذر رضي الله عنه، والله أعلم.
- هذه خلاصة ما تيسر بحثه في تفسير أبي ذر رضي الله عنه، ولا يفوتني أن أبين أن تفاسير الصحابة لا تزال بحاجة إلى دراسة وتوضيح، وما هذا الجهد المتواضع إلا محاولة يسيرة في طريق الباحثين المعتنين بهذا اللون من التفسير الذي أوصي بالعناية به أشد العناية، وبالله التوفيق.
- وأخيراً، فما كان في هذا العمل من صواب فهو من الله تعالى، وما كان فيه من خطأ أو زلل فمني، ومن الشيطان، وأستغفر الله العظيم منها، وأسأله أن يرزقني صواباً في القول والعمل، وإخلاصاً في القلب، وأن يلهمني رشدي، ويسدد عملي، وأن يزيدني علماً، وأن ينفعني بما علمني، وصلى الله على نبينا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Compilation, Editing and Study

This paper highlights the reports narrated about the great Companion Abū Zarr's views on the interpretation of the Qur'ān. These reports have been collected from the scattered sources of *Tafsīr* and *Ḥadīth*. Starting with a brief biographical sketch of this prominent Companion of the Prophet (pbuh), the writer presents various specimens of his peculiar views on *Tafsīr* of certain verses. The writer points out the peculiarities characterizing the typical views of Abū Zarr in interpreting certain verses of the Qur'ān.
